

ولا لسكان المدن في إسرائيل. وهكذا، كما يقول الكاتب، وكانت لدى متابعيهم بيفن معاناة موجهة أخرى: الفلسطينيون... وكانت لديه كما يبدو معاناة من الصواريخ السوفياتية التي نصبها السوريون في البقاع. ولقد كان الفلسطينيون في لبنان، وفي هذا البلد كانت أيضاً الصواريخ. ولقد أُلصق بيفن أن يقتلع الاثنين. غير أن حرب الأيام العشرة على جنوب لبنان التي انتهت بإبراز صورة إسرائيل المتحطة، في العالم، وإبراز الهشاشة الإسرائيلية أمام الضغوط الأميركية التي قادت إسرائيل إلى توقيع تمهد مع عدو لا تعترف بوجوده... «أن حرب الأيام العشرة هذه، بالنسبة لحكومة إسرائيل، انتهت إلى فشل تام، ومناخيم بيفن، وكذلك أريئيل شارون ليسا من الرجال الذين يتساهلون في إذلال كهذا. وسيستخلصان من هذا الفشل العبر التالية:

١ - أن تصفية منظمة التحرير الفلسطينية سياسياً أمر على القدر نفسه من أهمية تصفيتها عسكرياً.

٢ - من المستحيل تحقيق هذا الهدف بحملة تصف بسيطة: يجب التائب لاجتياح بري للبنان، حتى بيروت.

٣ - يجب التخصير بشكل الفضل لهذا الأمر على المستوى الدبلوماسي، خصوصاً حبال الولايات المتحدة.

٤ - البعد النفسي هو أيضاً مهم: فباستغلال ممنهج لوجه الارهاب، يمكن الوصول إلى تدمير العملية باعتبارها عملاً من أجل السلامة العامة. «هكذا ولدت لوحة عملية السلام للجيل، سينسكب عليها أريئيل شارون ومناخيم بيفن بلا كلل: وتحديداً بلا كلل في العمل على النقطة الرابعة...»

يؤكد شارون أن البعد النفسي في العملية ضد الفلسطينيين في لبنان، كان شديد الأهمية بالنسبة للثنائي المحارب: من أجل ذلك مضت سنة منذ قرارهما بتنفيذ الاجتياح (تموز ١٩٨١) وقيل أن يتفاداه فعلاً في حزيران ١٩٨٢. لقد أحتاجت إسرائيل لحروب تمويدية، تنهك لبنان وتنهك المقاومة الفلسطينية في لبنان وتجعلهم على المستوى المحلي والعربي والدولي مستحقين للعقاب الذي مستقزله إسرائيل بهما.

وإن يعرض دوشالفرين لجميع أنواع هذه الحروب: الدك المنتظم لجنوب لبنان؛ السيارات المفخخة؛ حروب السفارات؛ المطاردات

الدبلوماسية، الاغتيالات السياسية أو العجائبة، تصفيات الحساب الطائفية أو المزيبة، المحلبة أو الدولية، الجماعية أو الفردية... والمؤلف إذ يفرض لكافة أشكال هذه الحروب، فهو لا يرمي إلى القول أن إسرائيل هي القدرة الكلية التي نظمت هذه العجائز... غير أنه يعتقد بأن إسرائيل كانت المستفيد الأول منها سواء ساهم القادة الاسرائيليون أم لم يساهموا في هذه العمليات، لانهم قد تحقروا، ومن دون أن يسيئهم الأمر، بل بشيء من القبلة البديهية، من الجور المشحون في بيروت. فمن اعتداء إلى اعتداء، كبرت العلامة الفارقة للمدينة 'العاصمة العالمية للإرهاب' وقاعدة الارهاب الدولي' والغابة المرصودة لتصفية الحساب بين الارهابيين. بشكل ألي - يتابع دوشالفرين - راحت الصحف تربط بين اسم بيروت، وبين أسوأ أفات هذا النصف الثاني من القرن العشرين: الارهاب. وكان التحليل الذي فرضته كبريات الصحف بسيطاً: بيروت = ارهاب. والحال أن م.ت.ف. = بيروت. إذن: الارهاب = الفلسطينيين. ولقد ناسب هذا التحليل تماماً التطلعات الاسرائيلية...

هكذا يعتبر دوشالفرين، وهكذا يسوق الأدلة على أن عملية سلامة الجليل، قد أعدت منذ تموز ١٩٨١، ويضيف أخيراً إلى أدلته، دليلاً إضافياً هو تخلي منظمة التحرير الفلسطينية منذ العام ١٩٧٤ بعد دخول ياسر عرفات إلى مبنى الأمم المتحدة، عن منهج الارهاب (اختطاف الطائرات). هذا التحليل الذي أزعج إسرائيل، كما أزعجتها سياسة منظمة التحرير التي اكتسبتها تأييد مائة دولة بحيث زاد العدد عن عدد الدول المعترفة بإسرائيل؛ وأزعجها الوزن السياسي للمنظمة المركزية الفلسطينية في المجتمع الدولي، وتقبل هذا المجتمع، تدريجياً، لفكرة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة والقطاع. هذه الأسباب كلها، برأي دوشالفرين، تشكل المؤشر والدليل على أن اجتياح لبنان قد خطط له منذ تموز ١٩٨١. غير أن المؤلف يرى مع ذلك أن خروج المقاتل الفلسطيني من بيروت ليس خسارة حقيقية للمقاومة الفلسطينية. ولقد كان لبنان، وهذا قيل دائماً، موقعاً رائعاً لمنظمة التحرير، لأن توسعها أن تتحرك فيه باستقلالية كاملة. غير أن هذا القول، هو في الوقت نفسه خاطيء وصحيح: فهو صحيح على الصعيد العسكري، لأن أي بلد في العالم